معاني الأبنية

أولا. الاسم والفعل

إنَّ لبنية الاسم والفعل من الناحية الصرفية دلالة، وهذه الدلالة فيها فروق دقيقة يجب مراعاتها عند السياق.

فالاسم: يدلّ على الثبوت.

و**الفعل:** يدلّ على التجدد والحدوث؛ لأنَّ الاسم غير مقيد بزمن فهو أعم وأشمل وأثبت من الفعل الذي يكون مقيدًا بزمن معين، فالفعل الماضي مقيد بالزمن الماضي، والمضارع مقيد بزمن الحال والاستقبال.

قال عبد القاهر الجرجاني في ذلك : ((إنَّ موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئا بعد شيء. وأما الفعل فموضوعه على أن يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئا بعد شيء)) دلائل الإعجاز

والأمثلة على ذلك:

(زيد مجتهدٌ) جملة اسمية أفادت ثبوت الاجتهاد لزيد

(يجتهد زيدٌ) جملة فعلية أفادت حدوث الاجتهاد له بعد إن لم يكن.

وكذلك (حافظ) اسم فاعل دل على الثبوت، و(يحفظ) دل على الحدوث والتجدد، وكذلك في (خاطب ويخطب)، و(قاتل ويقتل)...الخ.

قال الفخر الرازي: ((إنَّ **اسم الفاعل** يدل في كثير من المواضع على ثبوت المصدر في الفاعل ورسوخه فيه، **والفعل الماضي** لا يدل عليه كما يُقال: فلان **شَرِبَ** الخمر، وفلان **شارب** الخمر. وفلان نفذَ أمره ، وفلان نافذُ الأمر، فإنه لا يفهم من صيغة الفعل التكرار والرسوخ ومن اسم الفاعل يُفهم ذلك)) التفسير الكبير:

وقد جاءت أمثلة كثيرة في القرآن الكريم على دلالة بنية الاسم والفعل، وهي فروق دقيقة في المعنى توضّح مدى إعجاز القرآن الكريم، من ذلك:

١. قال تعالى: چ سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون چ الأعراف: ١٩٣

قال: چ أدعوتموهم چ بالفعل، وقال أيضًا: چ صامتون چ بالاسم، ولم يسوَّ بينهما، فلم يقل: أدعوتموهم أم صمتم بالفعلية، أو أأنتم داعوهم أم أنتم صامتون بالاسمية، والسبب في ذلك: ((أنَّ الحال الثابتة للإنسان هي الصمت وإنما يتكلم لسبب يُعرض له، ولو رأيت إنسانًا يُكلم نفسه لاتّهمته في عقله، فالكلام طارىء يُحدثه الإنسان لسبب يُعرض له ولذا لم يسوَّ بينهما بل جاء للدلالة على الحال الثابتة بالاسم (صامتون) وداء على الحال الطارئة بالفعل (دعوتموهم)، أي: أأحدثت لهم دعاء أم بقيتم على حالكم من الصمت)). معاني الأبنية:١١.

٢. چ وإذا لقوا الذين آمنوا قالو آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون چ البقرة: ١٤

فقد فرق بين قولهم للمؤمنين وقولهم لأصحابهم، فخاطب المؤمنين بالجملة الفعلية الدالة على الحدث والتغير بالفعل چ آمنا چ وخاطبوا جماعتهم بالجملة الاسمية المؤكدة الدالة على الثبوت والدوامچ إنا معكم چ

٣. قال تعالى: چ ربنا إنك جامع الناس ليوم لاريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد چآل عمران: ٩

والأصل: تجمع الناس لأنه في الاستقبال ولأن الأمر متحقق ثابت أخبر عنه باسم الفاعل الدال على الثبوت.

٤. قال تعالى: چ إنَّ في ذلك لأية لمن خاف عذاب الاخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهودچ هود: ١٠٣

آثر اسم المفعول الذي هو (مجموع) على الفعل المستقبل الذي هو (يجمع) لما فيه من الدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وأنه الموصوف بهذه الصفة.

ثانيـًا: معاني أبنية الجموع

الجمع على قسمين جمع سالم(المذكر والمؤنث) وجمع التكسير، وهو على أوزان كثيرة ربما تصل إلى سبعة وعشرين وزنًا، وقد يكون للاسم الواحد جموع عدة، مثل: كافر وكفار وكَفَرة وكافرين.

والسؤال: هل تختلف معاني الجموع باختلاف الأوزان؟

وفي الحقيقة أنَّ معاني أبنية الجموع تختلف باختلاف الأوزان، ذلك أنَّ (فَعَلة) تختلف في دلالتها عن الجمع عن (فُعّال) أي أن (الكَتَبة) فيها فروق دقيقة في المعنى عن (الكُتّاب)، ولولا اختلاف المعنى لما اختلفت الأوزان، وأهم الأسباب التي أدت إلى اختلاف أوزان الجموع، هي:

١ . اختلاف لغات العرب: قد تختلف لغات العرب في بعض الجموع، من ذلك ما ذكره سيبويه أن تميمًا تخفف (فُعُلا) كحُمُر جمع حمار، وخُمُر جمع خِمار فتقول: حُمْر، وخُمْر، وقال إنَّ بعض العرب يقولون: أمكن في مَكْن لا مكان، وفَسْلا عندهم يجمع على فِسال ، وبعضهم الآخر يقولون في (جبَل ، أجبُل).

وقد وردت طائفة من الجموع في القرآن الكريم، ربما قد خُصصت بعضها دلاليًا، من ذلك:

أ. ألفاظ الجموع (الموتى والأموات والميتون التي هي جمع ميت) فكل جمع له دلالة معينة في القرآن الكريم.

الموتى: استعمل هذا الجمع في القرآن الكريم لمن أصابهم الموت حقيقة، وقد وردت هذه اللفظة سبع عشرة مرة في القرآن الكريم تدل على هذا المعنى، من ذلك

- **قوله تعالى: چ وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تُحي الموتى چ البقرة: ٢٦٠**
- **وقوله تعالى: چ ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى چ الأنعام: ١١١**

الأموات: استعمل هذا الجمع للموت المعنوي، من ذلك

- **قوله تعالى: چ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم چ البقرة:٢٨**
- **وقوله تعالى چ والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون چ النحل:٢٠ـ ٢١**

الميتون: استعمل هذا النوع من الجمع لمن لم يمت، من ذلك:

- **ٹ ٹ چ ثم إنكم بعد ذلك لميتون چ المؤمنون: ١٥**
- **ٹ ٹچ إنك ميت وإنهم ميتون چ الزمر: ٣٠**

ويبدو أن تعدد اللغات هو سبب واحد من بين جملة من الأسباب لتعدد الجموع.

٢. اختلاف المعنى: ربما يكون للكلمة أكثر من معنى كأن تكون اللفظة مشتركة فعندئذ يُفرق بينهما بالجمع، أو قد يكون معناها واحدًا غير مشترك ولكن جموعها تختص بمعان مختلفة، من ذلك:

أ. الربيع: ربيع الكلأ يجمع على (أرِبعة)، ويجمع ربيع الجدول على (أربعاء).

ب . الخال: ومنه خال الرجل على أخوال ، والخال الذي في الجسد يجمع على (خِيلان).

ت . الخُفّ: يجمع على خِفاف، أما خُفُّ البعير فيجمع على أخفاف.

ج. والأسرى والأسارى، إذ قال أبو عمر بن العلاء، الأسرى:الذين في اليد، والأسارى: الذين في وثاق.

٣. القلة والكثرة:

المراد بالقلة من الثلاثة إلى العشرة، وإذا زاد على العشرة فهو من جموع الكثرة.

هناك جموع تدلّ على القلة مثل:(أفعُل كأشهر، وأفعال كأشياخ، وأفْعِلة كأغربة، وفِعْلة كفِتية) والجمع السالم بنوعيه يفيدان معنى القلة، أما جمع التكسير فيفيد الكثرة .

وقد يُستغنى بجمع عن جمع فيستعمل جمع القلة للقلة والكثرة وبالعكس، مثال ذلك:

ـ الرجال: من أوزان الكثرة إلا أنه يستعمل للقلة والكثرة.

ـ والأقلام: جمع قلم وهو من أوزان القلة ويستعمل للقلة والكثرة أيضًا.

وهناك أمثلة وردت في القرآن الكريم منها:

أ. ﭧ ﭨ ﭽ والبحر يمدّه من بعده سبعة أبحر ﭼ لقمان: ٢٧، استعمل أفْعُل(أبحُر) للقلة لأنها سبعة.

ﭧ ﭨ ﭽ **وإذا البحار فُجّرت** ﭼ الانفطار:٣ ﭽ **وإذا البحار سُجَّرت** ﭼ التكوير: ٦، استعمل البحار للدلالة على الكثرة؛ لأنها جميعها تنفجر وتُسجر يوم القيامة.

ب. ﭧ ﭨ ﭽ **إنَّهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى** ﭼالكهف: ١٣ و ﭧ ﭨ ﭽ **وإذ أوى الفتية إلى الكهف** ﭼ الكهف: ١٠، استعمل الفتية للقلة؛ لأن أكثر ما قيل في عدتهم سبعة وثامنهم كلبهم .

ﭧ ﭨ ﭽ **وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم** ﭼ يوسف: ٦٢، فدلّ بذلك على أنهم أكثر من عشرة؛ لأنّ عمال العزيز الذين يعملون على الطعام يكون عددهم أكثر من عشرة.

لذا فقد استعمل الفتية للقلة والفتيان للكثرة.

هذا هو الأصل في استعمال القلة والكثرة، إلا أنه قد يُعدل عن هذا الأصل لضرب من البلاغة، فقد تُعطى القلة وزن الكثرة، وتُعطى الكثرة وزن القلة لغرض ما أو قد يُخصُّ كل من الوزنين بمعنى من ذلك:

ٹ ٹ چ مثل الذين يُنفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كي سُنبلة مائةحبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم چ البقرة: ٢٦١

وقوله تعالى: چ **وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهنَّ سبع عِجاف وسبع سُنبلات خضْرٍ وأخر يابسات** چ يوسف: ٤٣

ورد في الآيتين العدد (سبع)، إلا أنّه استعمل جمع الكثرة مرّة والقلة مرّة أُخرى، والسبب في ذلك أنَّ الآية الأولى سِيقت في مقام التكثير والمضاعفة فجيء بها على (سنابل) لبيان التكثير، وأما قوله (سبع سنبلات) فجاء بها على لفظ القلة؛ لأنَّ السبعة قليلة ولا مقتضى للتكثير.

ـــــ معاني الأبنية في العربية، د.فاضل صالح السامرائي.